نشاطُ ملحوظ في القرية

وفي كل صباحٍ تبدو الحركةُ المتلاحقةُ بين حاراتِ القرية وفي ساحاتها مثلُها كمثلِ كلِّ القرىٰ في منطقةِ الزوِيَّةِ.

فهذا يسوقُ قطيعَهُ للمرعىٰ، وذاك يحملُ علىٰ كتفه محراثاً خشبياً ويقودُ ثورين يتجهُ بهما نحو حقله ليحرُثَهُ، وذاك يركبُ دابتهُ ومعه مِعْولَهُ ويسرعُ إلىٰ بستانه كي يسقي أشجار الزيتون من ينبوعٍ صاف رقراق، أما الراعي فَيَهُشُّ علىٰ قطيعه وكلبيه اللذين ينفذان أوامرَه ويحرسانه من هجمات الذئاب المفترسة، والنسوةُ يحملنَ أرغِفَةً ساخِنَةً من الفُرْنِيَّات ورائحته الشهيَّةِ تَعْبقُ في المكان.

كان الفلاحون ينتشرون في الحقول، هذا يحرث، وذاك يبني ويرفعُ سياجاً، وذاك يزرعُ غِراساً، وتلك الفلاحةُ ترمي زِبْلاً في وسط هذه الأرض الخيّرةِ لتَزِيدها نمواً وعطاءً. إنهم مثل خلية النحل، أصدقاء الأرض ومحبو الشجر والزرع، فهي جزءٌ من حياتهم منها يأكلون وعليها يجلسون، وفيها يموتون وبطياتها يدفنون.

قال الشيخ صالح: إن حقلَ السمسمِ قد اصفرَّ ونضجت حبَّاتُهُ ، هيا يا أبنائي لنقطف ثَمَرَهُ الذي انتظرناه طيلة أشهرٍ إن فيه الخير ، حملَ الأولادُ رزمَ النَّباتِ الذهبي ونَصَبوه فوق الحيطان النظيفةِ أكواماً هَرَمِيّة ، كي تتفتَّحَ الأَكْمامُ عمَّا في داخلها من حباتِ السمسمِ فتسقُطُ في أكياس الفلاح النشيط .

أما المزارع سالم فكان ينظرُ إلىٰ حقلٍ مزروعٍ بحبَّةِ البركة (السوداء) التي فيها منافع للناس رغم سوادها ، وطعمها اللذيذ مع الخبزِ وكعكِ العيد ، فحقلُ هذا الفلاح يمتلىءُ بها وقد حمدَ الله علىٰ البركة التي تملأ حقل حبَّةِ البركةِ .

أما حقولُ الذرةِ البيضاء والصفراء ، فتَدَلَّت وهي تزهو كالعروسِ التي ترتدي ثوباً أبيضَ فزينتها حباتٌ بيضٌ تلمعُ علىٰ خيوطٍ من أَشِعَّةِ الشمس المشرقةِ الجميلة ، وعَصَافِيرُ الدوري تحطُّ فوقها لتملأ بُطونَها من حقلِ هذا الفلاح النشيط المحسن الذي يراها ويفرحُ وهو يُرَدِّدُ حديثَ الرّسولِ العظيم سيدنا محمد ﷺ: «من زرعَ زرعاً أو غرسَ غَرساً فأكلَ منه إنسانٌ أو دابَّةٌ أو طير إلا كان له به حسنةٌ» . صدق رسول الله .

أما حقولُ العدسِ والحمّصِ والحُلبةِ فحدِّث ولا حرج ، ففيها الحَبُّ المتدلّي كاللؤلؤ في جيد فَتَاةٍ جميلة ، وقد حان جنيُ ثمارها لتصيرَ علىٰ البيادِرِ أكواماً وفي المخازنِ عَطاءً لتُشبع البطونَ والنفوسَ المشتهية ، وعلىٰ امتداد نظرِكَ تظهر حقولُ

القمحِ المترامِيةِ ، وسنابِلُها الشامِخَة للأعلىٰ وهي تتراقَصُ علىٰ هباتِ الريح القادمةِ من البحيرة ، وتلثُمُ كلُّ سُنبُلةٍ أُختَها ، وهكذا نسمعُ سمفونيَّةً تُصْدِرُها حقولُ القمحِ التي تَعْجَزُ عن صُنعِها أَمهرُ الفِرقِ وأكبرُها .

هذه هي القريةُ المزدهرةُ في أرضِ الجولان الحبيب ، وكلُّ قريةٍ هناكَ تفيضُ بالخيرِ العميمِ كفِيق وكفر حارب والعال وخسفين ، والياقوصة ودبوسية وحيتل وجبين وكفر الما وأبو خيط وقرىٰ البطيحة ، والدير عزيز وعمرة الفريج ومزرعة عز الدين والحمة والتوافيق وشكوم والمجيحية ، وعديسة والحوتية ونقيب العربية والكرسي وصفورية وجدية ومجدولية .

إنها البقعة من الأراضي العربية المباركة التي مرَّ بها الأنبياء والمرسلون من عهد سيدنا إبراهيم إلىٰ سيدنا محمد ﷺ ، وعاش فيها السيد المسيح والنبي أيوب وشعيب وأقام فيها الصالحون والأتقياء ، وتمتلىء ربوعُها بالأضرحة والمَقَامات حيث تجدُ مقام السيد الخضر في أكثر من مكان .

وهكذا تكالبت عليها الحملاتُ المعادية كالرومان والصليبيين والمستعمرين الغربيين والصهاينة .

* * *